الملتقى الوطني :

القيم الجمالية للنص التربوي في الفكر الإسلامي– الغرب الإسلامي نموذجا–

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

كلية أصول الدين –

مخبر بحث الدراسات العقدية ومقارنة الأديان

تاريخ الملتقى 05 نوفمبر 2024

عنوان المداخلة: الجمال في القرآن الكريم.

المفهوم، الصيغ، المجالات: المظهر والمخبر.

الأستاذ الدكتور :عليوان اسعيد

مقدمة:

يعد الجمال إحدى القيم الأساسية الثلاث: الحق والخير والجمال. فالحق تدرسه الفلسفة والمنطق، والخير يدرسه علم الأخلاق، أما الجمال فيدرسه علم الجمال، وهو قيمة تهفو إليها النفوس، وتنشرح لها الصدور وتتطلع إليها الأفئدة، ويفيض بها الوجدان ليحلق الإنسان بهذه القيمة في عالم السعادة والسرور، والبهجة والحبور، وهو نوعان:

مادي ندركه في الموجودات من إنسان وحيوان ونبات وجماد، ومعنوي نتمعنه ونتمتع به مبثوث في النصوص والسطور ظاهرها وباطنها، شكلها ومضمونها.

والقرآن الكريم موضوع دراسة الجمال فيه نص من النصوص، وهو كما بينه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه سيدنا علي رضي الله عنه وكرم وجهه، قال: سمعت رسول الله يقول ...(عن القرآن الكريم) "كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق

عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعوه حتى قالوا: "إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به"[1]. من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم"[2،3]

فالجمال إذن إحدى القيم الأساسية الثلاث، والقرآن الكريم هو كتاب الله للعالمين وهو رسالة الله الخاتمة إلى يوم الدين، فهل من صلة بين الجمال والقرآن؟ لكي نحل هذه الإشكالية جزأناها إلى ما يأتي:

ما مفهوم الجمال؟ وما هو القرآن الكريم؟ وهل من صلة بين الجمال والقرآن؟ وإن كانت موجودة ففي ماذا تتمثل؟ عبرنا عن كل هذا في عنوان المداخلة الموسومة ب "الجمال في القرآن الكريم: المفهوم، الصيغ، المجالات، وقسمنا المجالات إلى قسمين هما المظهر ونقصد به التصوير الفني، والمخبر، ونقصد به الجمال في محتوى النص القرآني. وقد اتبعنا منهجين في حل هذه الإشكالية. هما المنهج التحليلي والمنهج الاستقرائي. وغرضنا الدعوة إلى تطبيق القرآن في كل جوانب حياتنا.

ولنشرع في التحليل ابتداء من ضبط المفهوم.

[1] الجن / 1، 2

[2] الحديث رواه الترمذي، ولبعض العلماء كلام فيه، ولكن معناه صحيح وقد علق عليه ابن كثير قائلا: "وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام سيدنا علي وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روى له شاهد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو مشهور من رواية الحارث الأعور". (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: فضائل القرآن، ذيل تفسير ابن كثير، د ط، دار الفكر، د م ن، د ت، ج 4، ص 5). وقناعتنا أن الحديث صحيح، وحتى لو فرضنا أنه كلام سيدنا علي فإنه تعريف للقرآن الكريم رائع.

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، فضائل القرآن، ج 4، ص 5.

أولا: المفهوم

نقصد به مفهومي الجمال والقرآن الكريم وقد حددناهما كما يأتي:

1- مفهوم الجمال

الجمال "هو إحدى القيم الثلاث التي ترد إليها الأحكام التقديرية وهي الحق والخير والجمال"[1] وله مفهومان، عام وخاص.

أ-المفهوم العام للجمال: يقصد به "الصفة التي تلحظ في الأشياء وتبعث في النفس سرورا ورضا"[2].

"ويحدث فيها عاطفة خاصة تسمى بعاطفة الجمال"[3]. وهو "مرادف للحسن وهو تناسب الأعضاء"[4]

"بأن يكون كل عضو منها على أفضل ما ينبغي أن يكون عليه من الهيئات والمزاج"[5]

إذا كان ما سبق هو مفهوم الجمال بوجه عام فما هو الجميل؟ وما هو القبيح؟

مفهوم الجميل: "الجميل هو ما يميل إليه الطبع وتقبله النفس، فما يميل إليه المرء طبعا يكون جميلا طبعا، وما يميل إليه عقلا فهو جميل عقلا"[6]، مما يعني أن الجمال قد يكون ماديا وقد يكون معنويا، ويقابله القبيح.

---

[1] مراد وهبة، يوسف كرم، يوسف شلالة، المعجم الفلسفي، ط2، دار الثقافة الجديدة، القاهرة ،1971م، ص72.
[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، د ط، الهيئة المصرية لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ،1983م، ص62.
[3] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1971م، م1، ص408.
[4] المرجع نفسه، م1، ص408.
[5] المرجع نفسه، ج2، ص ص 244، 245.
[6] المرجع نفسه، م1، ص408.

مفهوم القبيح: "هو ما لو فعله العالم به اختيارا استحق الذم عليه"[1].

ولكن هل يوجد قبح حقيقي أم هو اعتباري؟

القبح في الأشياء هو قبح بالاعتبار:

وهو ما بينه التهانوي بقوله: "وأعلم ... أن القبح في الأشياء إنما هو بالاعتبار، لا بنفس ذلك الشيء"[2].

فلا يوجد في الوجود قبيح مطلق، ولكن يوجد حسن مطلق، فقبح المعاصي إنما هو باعتبار النهي،

وقبح الرائحة المنتنة إنما باعتبار من لا يلائمها طبعه (كالفسيخ والسمك)، أما من يلائمها طبعه فهي من المحاسن، وعليه "فإن كل ما خلق مليح بالأصالة، لأنه صورة حسنه (الله) وجماله، ألا ترى أن الكلمة الحسنة في بعض الأحوال تكون قبيحة ببعض الاعتبارات وهي في نفسها حسنة"[3]. ويتوصل إلى النتيجة الرائعة الآتية: "فعلم أن الوجود بكامله صوره حسنه -الله عز وجل- ومظهر جماله"[4].

ولما كان الوجود بكامله يتضمن المحسوس والمعقول، والموهوم والخيالي، والأول والآخر، والظاهر والباطن، والقول والفعل، والصورة والمعنى"[5]. فإن كلا من القبح والحسن متساويان في كون كل منهما تجل للجمال الإلهي. فبالضد تتميز الأشياء.

إذ من الحسن الإلهي إبراز جنس القبيح على قبحه وجنس المليح على وجه حسنه لحفظ مرتبة كل منهما من الوجود"[6].

ب- المفهوم الخاص للجمال: هو أيضا إحدى القيم الثلاث التي أشرنا إليها قبلا، ولكن تصور معناه محل نزاع بين المثاليين والطبيعيين، فالمثاليون يعتبرونه "صفة قائمة في طبيعة الأشياء، مما يجعلها ثابتة لا تتغير. مما يجعل الشيء جميلا في ذاته أو قبيحا في ذاته بغض النظر عن ظروف من يصدر الحكم. بينما الطبيعيون يرون العكس، فالجمال في تصورهم اصطلاح تعارفت عليه مجموعة من الناس متأثرين بظروفهم، مما يجعل الحكم بحسن الشيء أو قبحه مختلفا باختلاف من يصدر الحكم"[7] وهذا يعني نسبية الجمال، لأنه يختلف باختلاف الزمان، والمكان، ومن يصدر الحكم. غير أنه واقعيا يوجد جمال يتفق عليه الناس قاطبة رغم اختلاف الزمان والمكان ومن يصدر الحكم، وهو ما نسميه الجمال المطلق ويتمثل في

---

[1] المرجع نفسه، م1، ص 408.
[2] التهانوي المولوي محمد أعلى، كشاف اصطلاحات الفنون، د ط، شركة خياط، بيروت، د ت، ج2، 244.
[3] المصدر نفسه، ج2، ص ص 244. 245.
[4] المصدر نفسه، ج2، ص ص 244. 245.
[5] المصدر نفسه، ج2، ص ص 244. 245.
[6] المصدر نفسه، ج2، ص ص 244. 245.
[7] مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص 62.

النص القرآني مظهرا ومخبرا حيث اتفق المسلمون والمشركون معا على سحره لهم كما سنبين في مجالات الجمال مما يجعله جميلا في ذاته جمالا موضوعيا مطلقا باعتباره صفة من صفات الله.

ولاختلاف الفلاسفة في تقلب الجمال بين النسبية والمطلقية فقد أنشأوا علما خاص به هو علم الجمال مما يدعونا إلى الإشارة إليه .

علم الجمال: هو أحد فروع الفلسفة، يبحث في الجمال وشروطه ومقاييسه ونظرياته، وفي الذوق الفني،

وفي أحكام القيم المتعلقة بالآثار الفنية."[1] ،[2]

نتوصل مما سبق إلى أن الجمال صفة تلحظ في الأشياء، وتبعث في النفس سرورا ورضا، ويحدث فيها عاطفه خاصة هي عاطفة الجمال. أما الجميل فهو ما يميل إليه الطبع، وتقبله النفس طبعا أو عقلا. ولأهمية الجمال فقد أنشأ الفلاسفة علما خاص به يسمى علم الجمال.

إذا كان ذلك كذلك، فهل للجمال صلة بالنص القرآني؟ لكي نحل هذه الإشكالية ننطلق من تعريف القرآن، فما هو القرآن الكريم؟ وما صلته بالجمال والجميل؟

2- تعريف القرآن الكريم:

يعرف القرآن الكريم بأنه "اللفظ العربي المعجز، الموحى به إلى محمد صلى الله عليه وسلم. المتعبد بتلاوته والواصل إلينا عن طريق التواتر"[3]. هذا التعريف ذاته جمال، وذلك أنه يتضمن أربعه قيود، هي: المعجز، الموحى به، المتعبد بتلاوته، الواصل إلينا عن طريق التواتر"[4]. فالقيود الثلاثة: الموحى به، المتعبد بتلاوته، الواصل إلينا عن طريق التواتر، تتضمن الجمال تضمنا أو التزاما، بينما المعجز يتضمن الجمال مطابقة، وهو ما يجعلنا نكتفي بالإشارة إليه طلبا للاختصار.

معنى المعجز:

يقصد به امتياز النص القرآني كله من الفاتحة إلى الناس بالبلاغة والفصاحة والبيان مما أعجز أساطين الفصاحة العرب أن يأتوا ولو بأقصر سورة من مثله رغم التحدي المتكرر، رغم حرصهم الشديد على معارضته، فقد "امتاز القرآن الكريم إذن ببديع نظمه وعجيب تأليفه، وسموه في البلاغة إلى الحد الذي يعجز الخلق عن الإتيان بمثله"[5].

---

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، م1، ص ص 408، 409. أيضا: مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص61.
[2] علم الجمال أنواع، علم الجمال النفسي والفلسفي، والاجتماعي (جميل صليبا، المرجع السابق، ص ص 409، 410).
[3] محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، ط5، مكتبة الفارابي، دمشق، 1977م، ص27.
[4] المرجع نفسه ص 27.
[5] المرجع نفسه، ص ص 27، 135.

نتوصل مما سبق إلى أن القرآن الكريم جمال وجميل، وسنبرهن على هذا من خلال عرض بعض صيغ الجمال التي وردت في القرآن الكريم كنماذج ثم نتطرق لمجالات الجمال مظهرا ومخبرا.

ثانيا: الصيغ

كل لفظ في القرآن الكريم جميل وجمال، مما يجعله جديرا بالبحث عن تصور جماله، ولكن ذلك صعب الإحاطة وهو ما جعلنا نقتصر على ثماني مواد، هي:

جمل، بهج، جنة، حسن، روض، زخرف، زهر، زين.

بدأنا بجمل ثم رتبنا المواد السبع الباقية أبجديا وكلها تتضمن كألفاظ القرآن الكريم الأخرى معنى الجمال مطابقة أو تضمنا أو التزاما. ونقصد بهذه المصطلحات دلالة اللفظ الوضعية على المعاني، وهي التي عرفها الأخضري (ت 953 هـ / 1575 م) بقوله:

"دلالة اللفظ على ما وافقه يدعونها دلالة المطابقة

وجزئه تضمن وما لزم فهو التزام إن بعقل التزم"[1]

ونشير هنا إلى أن المواد السابقة تكررت في القرآن الكريم كثيرا، وقد اكتفينا بذكر المواد مع السور التي تتكرر بها ورقم الآيات، وذلك حتى لا يخرج البحث عن نطاقه، وقد بدأنا بمادة جمل.

1- مادة جمل:

تكررت هذه المادة في القرآن الكريم ثماني (8) مرات بالصيغ الآتية: **جميل:**(يوسف/18، 83). **الجميل**: (الحجر/85) **جمال:** (النحل/6)، **جميلا:** (الأحزاب/28، 49)، (المعارج/5)، (المزمل/10)[2].

[1] عليوان اسعيد، عبد الرحمن الأخضري وكتابه السلم المرونق في المنطق، دراسة وتحقيق (رسالة في الدراسات المعمقة غير منشورة، تحت إشراف أستاذنا أ.د عمار طالبي) جامعة الجزائر، 1981م، ص 47.

[2] محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، د ط، دار الحديث، القاهرة، 2001م، ص 217.

تعليق:

نلاحظ في الآيات السابقة أن الوصف بالجمال تنوع بين وصف اسم الذات ووصف اسم المعنى. ففي قوله تعالى: "والأنعام خلقها... جمال... تسرحون"(النحل/6) نجد مادة "الأنعام" جعلت موضوعا للقضية المنطقية "الأنعام جميلة" في مختلف أوضاعها "حين تريحون وحين تسرحون" وهو اسم ذات، وجعل "الجمال" وهو اسم معنى محمولا لتلك القضية. أما في قوله تعالى: " فاصبر صبرا جميلا" (المعارج/5) فقد جعل الصبر وهو اسم معنى في أصله موضوعا للقضية المنطقية "الصبر جميل" مما صيره اسم ذات بالوضع، وجعل "جميلا" وهو اسم معنى محمولا لها ولما كان "الصبر" مطلقا وغير محدد بحيث نعيشه ولا نستطيع أن نحدد كنهه أو كمه أو مقداره، وكذلك "جميل" الذي هو اسم معنى، فقد جاء وصفا لاسم معنى في الأصل "الصبر" مبهم وفي الإبهام عين البيان، كان بذلك أبلغ.

نتوصل إلى أن الجمال في القرآن ورد وصفا لكل من اسم الذات واسم المعنى فكان بذلك شاملا لكل ما في الوجود من خلق الله عز وجل.

2-مادة بهج:

تكررت هذه المادة ثلاث (3) مرات بلفظ "بهيج" و "بهجة" كالآتي: **بهيج:** (الحج/5)، (ق/7). **بهجة:** (النمل/60)[1].

3-مادة جنة:

الجنة مفهوم يتضمن كل ما نتصوره وما لا نتصوره من جمال. ما صدَقُه واقع حقيقي لا نهائي أعده الله لعباده المؤمنين، تكررت هذه المادة حوالي 147 مرة بالصيغ الآتية: الجِنةُ، الجنةَ، الجنةِ، جنةُ، جنةَ، جنةِ، جنةٌ، جنةً، جنةٍ، جنتَك، جنتِك، جنتَه، جنتِي، جنتان، جنتين، الجنتينِ، جنتِهم، جناتٌ، جناتٍ، جناتُ، جناتِ، الجنتان[2].

وهي موزعة في سور القرآن كالآتي[3]:

البقرة/25 ،35، 111، 214، 221، 265، 266. آل عمران/ 15 ،133، 136، 142، 185، 195، 198. النساء/13، 57، 122، 224. المائدة/12، 65، 72، 85، 119. الأنعام/99، 141. الأعراف/19، 22 ،27 ،40، 42، 43، 44، 46 ،49 ،50. التوبة/21، 72، 89 ،100 ،111. يونس /9، 26. هود/23، 89 ،108. الرعد/4 ،23، 35. إبراهيم/23. الحجر/45. النحل /31 ،32. الإسراء/91. الكهف/31 ،32 ،33

[1] المصدر نفس، ص 405.
[2] المصدر نفسه، ص ص 221، 222، 223.
[3] اكتفينا بذكر السورة والآيات دون المواد

،35، 39، 40، 107. مريم/60 ،61 ،63. طه/76، 117، 121. الحج/14، 23، 56. المؤمنون /19. الفرقان / 8، 10، 15 ،24. الشعراء/57 ،85 ،90 ،134 ،147. العنكبوت/85. لقمان/8. السجدة/19. سبأ/15 ،16. فاطر /33. يس/ 26، 34 ،55. الصافات/43. ص/50. الزمر/ 73، 74. غافر/ 8، 40. فصلت/30. الشورى/7، 22. الزخرف/ 70، 72. الدخان/ 25 ،52. الأحقاف/ 14 ،16. محمد(ص)/6، 12، 15. الفتح/ 5، 17. ق/9 ،31. الذاريات/15. الطور/17. النجم/15. القمر/54. الرحمن/46، 54 ،62. الواقعة/12. الحديد/12 ،21. المجادلة/22. الحشر/20. الصف/12. التغابن/ 9. الطلاق/11. القلم /17. الحاقة/22. المعارج / 35، 38. نوح/12. المدثر/40. الإنسان/ 12. النبأ/16. النازعات/41. التكوير/13. البروج/11. الغاشية /10. الفجر/ 30. البينة/ 8.

تعليق:

- تكررت مادة الجنة في 65 سورة بمجموع 147 مرة. 21 منها بالمفهوم الدنيوي للجنة، وهي: البقرة/265. الأنعام/99، 141. الرعد/ 4. الإسراء /91. الكهف/32، 33، 39، 40. المؤمنون/19. الشعراء /57، 134. سبأ /15، 16. يس/34. الدخان/25. ق/9. القلم/17. نوح/12. النبأ /16.

أما الباقي وهو 126 مرة فقد جاء بالمفهوم الأخروي. ولكن كلا المفهومين يتضمنان الجمال.

- تكررت مادة الجنة في كل سور الربع الأول باستثناء الفاتحة. وفي الثاني باستثناء الأنفال ويوسف، وفي الثالث باستثناء الأنبياء والنور والنمل والقصص والروم والأحزاب. وفي الرابع تكررت في كل سوره من يس إلى الحشر باستثناء الجاثية. ومجموع هذه السور يمثل 10 أحزاب ثم تكررت بعد ذلك في الصف والتغابن والطلاق والقلم والحاقة والمعارج ونوح والمدثر والإنسان والنبإ والنازعات والتكوير والبروج والغاشية والفجر والبينة وهي تمثل حوالي 4 أحزاب. فيكون مجموع الأحزاب التي ترددت مادة الجنة في كل سورها حوالي 54 حزبا من القرآن الكريم. وهو يدل على أن القرآن الكريم بكامله عليه صبغة الجمال.

4- مادة: حسن:

تنوعت هذه المادة بين الوصفين المادي والمعنوي. وتكررت في القرآن الكريم حوالي 240 مرة بالألفاظ الآتية: حسُن، حسُنت، أحسَنَ، أحسِنْ، أحسنتم، أحسَنوا، المحسنين، الحسنى، حسَنةً، تحسِنوا، يحسنون، أحسِنوا، حُسنَ، حُسنُ، حُسنا، حُسنُهُنَّ، حسنٍ، حسنًا، حسنةٌ، حسنةٍ، الحسنةِ، الحسنةَ، الحسنةُ، الحسناتِ، حسناتٍ، الحسنيين، حِسانٌ، حسانٍ، أحسَنُ، أحسَنِ، أحسنَهُ، أحسنِها، إحسانٍ، الإحسانِ، الإحسانُ، إحسانا، محسِنٌ، محسنون، محسنين، المحسناتِ، وهي موزعة في سور القرآن الكريم كالآتي:

البقرة/ 58، 83، 113، 138، 178، 195، 201، 229، 236، 245. آل عمران/14، 37، 120، 134، 148، 172، 195. النساء/ 36، 40، 59 ،62، 69 ،78، 79، 85 ،86، 95، 125، 129. المائدة/ 12، 13، 50، 85، 93. الأنعام / 84، 106 ،151 ،152، 154، 160. الأعراف/28، 56، 95، 131، 137، 156، 161. الأنفال/17. التوبة/50، 52، 91، 100، 107، 120، 121. يونس/26. هود/3، 7، 88، 114، 115. يوسف/3، 22، 23، 36، 56، 78، 90، 100. الرعد/6، 18، 22، 29. النحل/30، 41، 62، 67، 75، 96 ،97 ،122، 125، 128. الإسراء /7، 23، 34، 35، 53، 110. الكهف/2 ،7، 30، 31، 86، 104 ،188. مريم/ 73، 74. طه/8. الأنبياء/101. الحج /37، 58. المؤمنون /14، 96. النور/38. الفرقان/ 24، 33، 70 ،76. النمل/11، 46، 89. القصص/14، 54، 61، 77، 84. العنكبوت/ 7 ،8 ،46 ،69. لقمان/3، 32. السجدة/7. الأحزاب/21، 29 ،52. فاطر/8. الصافات/80، 105 ،110، 113، 121 ،125، 131.ص/25، 49. الزمر/10، 18، 23 ،34، 35، 55، 58. غافر/64. فصلت/33، 34 ،50. الشورى/23. الأحقاف/12 ،15 ،16. الفتح/16. الذاريات/16. النجم/31. الرحمن/7، 60، 76. الحديد/10، 11، 18. الحشر/24. الممتحنة/4 ،6. التغابن /3، 17. الطلاق/11. الملك/2. المزمل/20. المرسلات/44. الليل/6، 9.

تعليق:

- مادة حسن تكررت في السور السابقة بين مرة واحدة و12 مرة.
- وردت في كل سور القرآن الكريم باستثناء السور الآتية:

الفاتحة، الشعراء، الروم، سبأ، يس، الزخرف، الدخان، الجاثية، محمد، الحجرات، ق، الطور، القمر، الواقعة، المجادلة، الصف، الجمعة، المنافقون، التحريم، القلم، الحاقة، المعارج، نوح، الجن، المدثر، القيامة، الإنسان، ومن النبإ إلى الشمس، ومن الضحى إلى الناس.

5-مادة: روض:

تكررت مرتين: روضة، روضات. الروم/15، الشورى/22.[1]

6-مادة: زخرف:

تكررت 4 مرات: الأنعام/112، يونس/24، الإسراء/93، الزخرف/35[2]

تعليق:

[1] محمد فؤاد عبد الباقي، المرجع السابق، ص 403.
[2] المرجع نفسه، ص 170.

توجد سورة كاملة في القرآن تسمى سورة الزخرف مما يدل على أهمية الجمال في حياة الإنسان حتى ولو استخدم في غير محله، وهو يدل على مدى تأثيره في النفس البشرية.

7- مادة: زهر

وردت مرة واحدة: طه/131 [1]

8- مادة: زيَّن

تنوعت هذه المادة بين الوصفين المادي والمعنوي، وتكررت في القرآن 47 مرة بالصيغ الآتية:

زين، زينا، زيناها، زيَّنَه، زينوا، أزينَن، زُين، ازَّينت، زِينةَ، زِينةً، زِينةُ، الزِينةِ، زِينةِ، زينةٍ، زينةٌ، زينتَكم، زينتِهِ، زينتَها، زينتُها، زينتَهُنَّ، زينتِهِن.[2] وهي موزعة في سور القرآن الكريم كما يأتي:

البقرة/212. آل عمران/14، الأنعام/13، 108، 123. الأعراف/31، 32. الأنفال/ 48. التوبة/37. يونس/12، 24، 88. هود/15. الرعد/33. الحجر/16، 39. النحل/ 8، 63. الكهف/7، 28، 46. طه/ 59، 87. النور/31، 60. النمل/4، 24. القصص/60، 79. العنكبوت/38. الأحزاب/28. فاطر/8. الصافات/6. غافر/37. فصلت/12، 25. محمد(ص)/14. الفتح /12. الحجرات/7. ق/ 6. الحديد/20. الملك/5.

تعليق:

مادة زيَّن:

- تكررت 47 مرة في 28 سورة من طوال المفصل بمختلف الصيغ التي ذكرناها.
- تشترك مع مادة **جمل** في الحجرات والأحزاب. **وبهج** في النمل و ق. **وجنة** في البقرة وآل عمران والمائدة والأنعام والأعراف والتوبة ويونس وهود والرعد والحجر والنحل والكهف وطه والعنكبوت والصافات وغافر وفصلت ومحمد(ص) والفتح، وق والحديد. **وحسن** في 24 سورة هي: البقرة وآل عمران والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة ويونس، وهود والرعد، والنحل، والكهف، وطه والنور، والنمل والقصص والعنكبوت والأحزاب وفاطر والصافات وغافر وفصلت والفتح والحديد والملك و**زخرف** في الأنعام ويونس، **وزهر** في طه
- لا تشترك مع مادة **روض** في أي سورة.

[1] المرجع نفسه، ص 408.
[2] المرجع نفسه، ص 412.

تعليق عام:

- السور الآتية: من البقرة إلى الدخان، ومن الأحقاف إلى الصف. ثم التغابن، الطلاق، الملك، القلم، الحاقة، المعارج، نوح، المزمل، المدثر، الإنسان، المرسلات، النبإ، النازعات، التكوير، البروج، الغاشية، الفجر، البينة. هذه السور لم تخل أي منها من إحدى المواد على الأقل. وقد تكررت هذه المواد في كثير من السور. إن على مستوى المادة الواحدة. أو على مستوى عدة مواد. ومن ذلك على سبيل المثال. فإن سورة البقرة تكررت فيها مادة جنة 7 مرات، ومادة حسن 10 مرات، ومادة زين مرة واحدة. النحل: وردت بها مادة جمل مرة واحدة، وجنة (2) مرتين، وحسن 10 مرات وزين (2) مرتين.
- مجموع ما ورد فيه مادة أو أكثر من القرآن الكريم حوالي 58 حزبا. ومجموع تكرارها فيه هو: 8+3+147+240+2+4+1+47=452 مرة. موزعة كما ذكرنا على 58 حزبا، وهو ما يدل على عناية القرآن الكريم بالبعد الجمالي.
- السور التي لم ترد بها أي مادة من المواد الثمانية، وردت بها مواد أخرى تتضمن مفهوم الجمال، ومن ذلك سورتا الفاتحة أول سورة في القرآن الكريم والناس خاتمة القرآن فمما حوته سورة الفاتحة الجمال الإلهي المتمثل في صفة "رب العالمين الرحمن الرحيم" وصفة الجلال المتمثل في "ملك يوم الدين" والجلال جمال. أما سورة الناس فقد تضمنت كذلك هذين المفهومين في الجمال – الجلال والجمال- صفة رب الناس، وصفة ملك الناس وهو ما يجعل الجمال مطابقة وتضمنا والتزاما مبثوثا في الستين حزبا بكاملها، ولكن كل سورة من سور القرآن لها شخصيتها وطابعها الجمالي الخاص بها فلا توجد إذن أي سورة من سور القرآن لا تتضمن معنى الجمال، بل لا يوجد أي لفظ من ألفاظ القرآن لا يتضمنه، مما يجعل القرآن الكريم كله جمالا. ولا غرو، فإنه من عند الله خالق الجمال والله هو الجمال المطلق، وهذا يدعونا إلى الحديث عن مجالات الجمال في القرآن الكريم.

ثالثا: المجالات

نقصد بالمجالات، مجالات الجمال وقسمناها إلى قسمين: المظهر والمخبر

1- المظهر

نقصد بالمظهر مظهر الجمال، أي التصوير الفني في التعبير أو اللفظ، فالقرآن الكريم امتاز بجمال نظمه وبديع نسقه ونسيجه، وحسن ترتيبه، ودقة معانيه، وقوة تأثيره، وسحر بيانه، ومضمونه، مما يمكننا من القول بأن الجمال هو "الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة. وإذا الحالة النفسية مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية"[1]. وهذا يعني بوضوح أن القرآن كله جمال مطلق، وأن الجمال هو قاعدة التعبير فيه، ولا أدل على هذا من سحره لمن آمن به ولمن صد عنه على السواء. وهو ما يدعونا إلى الحديث عن هذا السحر الخلاب.

سحر القرآن للمؤمنين والكافرين على السواء

لقد سحر القرآن الكريم العرب منذ نزوله، مؤمنيهم وكافريهم على السواء. فهو العامل الحاسم في إيمان الصحابة الأولين وهو الذي أقر المشركون بسحره لهم وأخذه ألبابهم رغم جحودهم. ولنبرهن على هذا بعرض نماذج من الطرفين.

أ- **نموذج لمن آمن:** ونكتفي بواحد هو: إسلام سيدنا عمر بن الخطاب.

[1] سيد قطب والتصوير الفني في القرآن، د ط. د م ط، 1966م، ص34 وقد أورد سيد قطب نماذج حية لكل ما ذكرناه، فمن أراد التوسع فليرجع إلى سيد قطب، التصوير الفني، ص ص 36.. 61.

إسلام سيدنا عمر رضي الله عنه:

مما أورد ابن هشام في إسلام سيدنا عمر روايتين كلتاهما كان سماع القرآن الكريم العامل الحاسم في إسلامه.

الرواية الأولى:

نذكر أنه خرج متوشحا سيفه يريد قتل النبي (ص) فلقيه نعيم بن عبد الله وأثناه إلى الذهاب إلى أخته فاطمة وختنه سعيد بن زيد اللذين أسلما، فسمع عندهما خباب بن الأرت يقرأ القرآن، وبعد بطشه بأخته وزوجها أقرت بإسلامهما وتحدته، وبعد حوار معها طلب الصحيفة، وبعد اغتساله قرأ فيها صدر سورة طه فرق قلبه لسماع القرآن ورجع إلى النبي (ص) فأسلم[1]. فكان سحر القرآن العامل الحاسم في اعتناقه الإسلام[2].

الرواية الثانية: تنص على أن عمر خرج ذات ليلة لمجلس ندمائه فلم يعثر لهم على أثر، فاتجه إلى خمار فلم يجد له أي أثر، فذهب إلى البيت يريد الطواف فوجد النبي (ص) قائما يصلي، فتدرج عمر من التشويش على النبي إلى الإنصات لقراءته، فرق قلبه للقرآن فبكى واعتنق الإسلام[3]. هاتان الروايتان تجمعان على أن سحر القرآن الكريم هو الذي كان السبب في اعتناق سيدنا عمر للإسلام.

ب- **نموذج ممن صد عنه ولكنه أقر بسحره له:** ونكتفي بما يأتي:

1- انبهار الوليد بن المغيرة بالقرآن الكريم وإقراره بسحره له:

الوليد بن المغيرة عم أبي جهل ومن سادة قريش ومترفيهم. فما أن سمع من النبي (ص) بعضا من القرآن حتى تأثر به وأعلن انبهاره بما سمع قائلا[4] "والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق[5]، وإنه يعلو وما يعلى. فقالت قريش صبأ والله الوليد لتصبأن قريش كلها "[6]. فقال لهم أبو جهل: أنا أكفيكموه، فكلمه بما يثير حميته. فأجابهم قائلا: "تزعمون أن محمدا مجنون، فهل رأيتموه يهوّس؟ وتقولون إنه كاهن، فهل رأيتموه يتكهن؟ وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط؟ وتزعمون أنه كذاب، فهل جربتم عليه شيئا من الكذب؟ فقالوا في كل ذلك اللهم لا". ثم قالوا: فما هو؟ فلما احتار في أمره بعد تفكير قال: "ما هو إلا ساحر. أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه"[7]. فأنزل الله فيه "ذرني ومن خلقت وحيدا ... إنه كان لآياتنا عنيدا ... إنه فكر وقدر، فقتل كيف قدر، ثم قتل كيف قدر، ثم نظر، ثم عبس وبصر، ثم أدبر واستكبر، فقال

---

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، ط2، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1955م، م1، ص ص 343، 344.

[2] سيد قطب، التصوير الفني، ص ص 12 ،13.

[3] ابن هشام، المصدر نفسه، م1، ص 346، 347.

[4] سيد قطب، التصوير الفني، ص 13.

[5] مغدق: من الغدق، يشبهه بالنخلة التي ثبت أصلها وقوي، وطاب فرعها إذا جنى. ويطلق الغدق على الماء الكثير. (ابن هشام، المصدر نفسه، ج 1، ص 270، هامش 4، 5).

[6] محمد الخضري بك، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، د ط، دار كرم للطباعة والنشر، دمشق، د ت، ص 46.

[7] المرجع نفسه، ص ص 46، 47.

إن هذا إلا سحر يوثر... سأصليه سقر"[1]. هذه شهادة أحد صناديد قريش يقر بأن القرآن سحر لبابه، وأن سحره لا يغالب على حد تعبير سيد قطب، وهكذا. يجمع كل من المؤمنين والكفار على الإقرار بسحر القرآن لبابهم، فيلتقي عمر بن الخطاب مع الوليد بن المغيرة في الإقرار بهذا السحر فيؤمن عمر ويتكبر الوليد[2]. إنه جمال القرآن الخلاب للأفئدة.

2- انبهار صناديد قريش العتاة بالقرآن إلى حد التنصت على سماعه:

لقد بلغ الأمر بجمال القرآن الخلاب وسحره للّباب أن بعض صناديد قريش الأشد عداوة للإسلام كانوا يتسللون فرادى خلف بيت النبي سرا لسماع القرآن خلال صلاته. وهم أبوا سفيان بن حرب وأبو جهل بن هشام والأخنس بن شريق. وعندما يكمل النبي (ص) التلاوة ينصرفون فتجمعهم الطريق فيتلاومون ويتعاهدون على عدم العودة، وفي الليلة الموالية يعودون. ثم يلتقون أثناء الانصراف فيتعاهدون من جديد على عدم العودة، ثم يعودون. ولكنهم مع ذلك يصدون. وقد سجل لنا القرآن الكريم هذه الحادثة بحروف من نور، قال تعالى: "نحن أعلم بما يستمعون به، إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا"[3]. ذلك أن الأخنس بن شريق ذهب في صباح اليوم الموالي لأبي سفيان يسأله عن رأيه فيما سمع، فأخبره بأنه سمع أشياء يعرف معناها وما يراد منها، وأخرى لا يعرف معناها ولا ما يراد منها، فقال له الأخنس: وأنا والذي حلفت به. ثم اتجه الأخنس إلى أبي جهل في بيته يسأله عن رأيه فيما سمع من النبي (ص) فأجابه جواب مستكبر حقود لكن مع إقراره بسحر القرآن لفؤاده قائلا: "تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه. فقام عنه الأخنس وتركه[4].

وقد علق سيد قطب على ما سبق بهذا التعليق الرائع قائلا: "فهكذا كان القوم تتأثر بالقرآن فطرتهم فيصدونها، وتجاذبهم إليه قلوبهم فيمنعونها ... وهكذا كانوا يتناجون بما أصاب قلوبهم من القرآن فيتآمرون على عدم الاستماع إليه. ثم يغلبهم التأثر به فيعودون ثم يتناجون من جديد حتى ليتعاهدون على عدم العودة ليحجزوا أنفسهم عن هذا القرآن المؤثر الجذاب الذي يخلب القلوب والألباب. ذلك أن عقيدة التوحيد التي يدور عليها القرآن كانت تهددهم في مكانتهم وفي امتيازاتهم وفي كبريائهم فينفرون منها"[5]. وهكذا سحر القرآن أفئدتهم بجماله الخلاب رغم كفرهم بصاحبه صلى الله عليه وسلم.

---

[1] المدثر/11 ... 26.
[2] سيد قطب، التصوير الفني، ص ص 13 ،14.
[3] الإسراء/47.
[4] إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص 44.
[5] سيد قطب، في ظلال القرآن، ط12، دار الشروق، القاهرة، بيروت، 1986م، م4، ص 2232.

3- سحر القرآن للعرب إلى حد اتهام النبي (ص) بأنه رجل مسحور:

لقد بلغ سحر القرآن للعرب أن اتهموا سيدنا النبي (ص) بأنه رجل مسحور، بمعنى أن القرآن فوق مستوى البشر. وقد سجل لنا القرآن الكريم هذا بحروف من نور، قال تعالى: "إذ يقول الظالمون، إن تتبعون إلا رجلا مسحورا"[1]. وقال أيضا: "وقال الظالمون، إن تتبعون إلا رجلا مسحورا"[2]. وقد عبر بالمضارع والماضي دلالة على أن هذا القول في الماضي والحال والاستقبال. وقد علق سيد قطب قائلا: "وهذه الكلمة ذاتها (مسحورا) تحمل في ثناياها دليل تأثرهم بالقرآن، فهم يستكثرون في دخيلتهم أن يكون هذا قول بشر. لأنهم يحسون فيه شيئا غير بشري، ويحسون دبيبه الخفي في مشاعرهم فينسبون قائله إلى السحر، يرجعون إليه هذه الغرابة في قوله، وهذا التميز في حديثه، وهذا التفوق في نظمه. فمحمد (ص) إذن لا ينطق عن نفسه. إنما ينطق عن السحر، بقوة غير قوة البشر، ولو أنصفوا لقالوا: إنه من عند الله. فلا يمكن أن يقول هذا إنسان، ولا خلق آخر من خلق الله"[3]. وهنا نتساءل عن منبع السحر في القرآن.

منبع السحر في القرآن الكريم

سحر القرآن الذي انبهر به صناديد قريش وأقروا به "**كامن في صميم النسق القرآني ذاته** وليس في الموضوع الذي يتحدث عنه وحده، رغم ما في العقيدة الإسلامية من قوة وجاذبية على حد تعبير سيد قطب فهذه الخصائص (خصائص النسق القرآني) إنما تتجلى من خلال التعبير الجميل المؤثر المعبر المصور"[4]. وهذا يدعونا إلى الحديث عن بعض خصائص هذا النسق على سبيل المثال لا الحصر.

خصائص النسق القرآني وجماله:

يمتاز النص القرآني بخصائص جعلته يبذ كل ما عداه من النصوص إلى حد الإعجاز. منها:

1- "جريانه على نسق بديع خارج عن المعروف من جميع كلام العرب، ويقوم في طريقته التعبيرية على أساس مباين للمألوف من طرائقهم، وله أسلوب خاص به لا وجود له في أي فن من الفنون العربية المعهودة[5]. ومن ذلك التناسق في تأليف العبارات باعتماد الألفاظ المناسبة بحيث يستحيل وضع مرادف لها ثم نظمها في نسق خاص في أعلى درجات الفصاحة. يضاف إلى هذا: الإيقاع الموسيقي الناشئ من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص، وأيضا التسلسل المعنوي بين الأغراض في سياق الآيات، والتناسب في الانتقال من غرض إلى آخر[6]. ولذلك تحير العرب في أمره، ومن أوضح الأمثلة على هذا ما وقع لعتبة من ربيعة من تأثر شديد بسماعه صدر سورة فصلت من النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أرسلته إليه قريش لمساومته بالملك والمال

---

[1] الإسراء /47.
[2] الفرقان/8.
[3] سيد قطب، في ظلال القرآن، م 4، ص 2232.
[4] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 19.
[5] محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، ص 132.
[6] سيد قطب، التصوير الفني، ص ص 74، 75.

والزعامة. فلما أكمل عتبة عرضه قال له سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني، قال: أفعل[1]. فقرأ عليه صدر سورة فصلت إلى السجدة فسجد، وعتبه منصت ملقيا يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم. فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم في السجدة، "قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك"[2]. فرجع عتبة إلى أصحابه خاسئا وهو حسير منبهرا بما سمع. فقالوا: نحلف بالله لقد جاءكم الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم وسألوه: ما وراءك يا أبا الوليد؟ فقال: ورائي أني قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه. فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم... قالوا: سحرك يا أبا الوليد بلسانه قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم"[3]. والواقع أن ما تتسم به سورة فصلت من روعة وإعجاز وإبهار وجمال خلاب هو طبيعة القرآن الكريم بكامله. وقد علق شيخنا البوطي على ما سبق قائلا: "فمن أجل ذلك تحير العرب في أمره، إذ عرضوه على موازين الشعر، فوجدوه غير خاضع لأحكامه، وقارنوه بفنون النثر، فوجدوه غير لاحق بالمعهود من طرائقه. فكان أن ينتهي الجاحدون منهم إلى أنه السحر، واستيقن المنصفون منهم بأنه تنزيل من رب العالمين"[4].

2- "التعبير القرآني يظل جاريا على نسق رفيع واحد من السمو في جمال اللفظ ودقة الصياغة وروعة التعبير، رغم تنقله بين موضوعات مختلفة"[5]. "فما مس جامدا إلا نبض بالحياة ولا عرض مألوفا إلا بدا جديدا وتلك قدرة قادرة ومعجزة ساحرة. فالصبح مشهد مألوف... ولكنه في تعبير القرآن حي لم تشهده من قبل عينان، إنه "الصبح إذا تنفس"[6]، والليل آن من الزمان معهود، ولكنه في تعبير القرآن حي جديد، "والليل إذا يسري"[7]، وهو يطلب النهار في سباق جبار "يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا"[8]... والجدار بنية جامدة كالجلمود، ولكنه في تعبير القرآن يحس ويريد "فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه"[9،10]... والغضب حالة نفسية تعتري الإنسان، ولكنه في تعبير القرآن بشر يتكلم ويسكت "ولما سكت عن موسى الغضب"[11]. وهكذا كل ما ورد في القرآن من أشياء "فهي أحياء أو مشاهد تخاطب الأحياء. فليس هناك جامد ولا ميت بين الجوامد والأشياء"[12]. إنه جمال التعبير القرآني المطلق.

---

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، م1، ص ص 293، 294.
[2] المصدر نفسه، م 1، ص 294.
[3] المصدر نفسه، م 1، ص 294.
[4] محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، ص 133.
[5] المصدر نفسه، ص ص 134، 135
[6] التكوير / 18.
[7] الفجر / 4.
[8] الأعراف / 54.
[9] الكهف / 77.
[10] سيد قطب، التصوير الفني، ص 202، 203
[11] الأعراف / 154
[12] سيد قطب، التصوير الفني، ص 203.

3- معاني القرآن مصوغة بطريقة عجيبة لا وجود لها في غير القرآن، ويتمثل ذلك في صلاحيتها لمخاطبة جميع البشر بنفس الصيغة رغم اختلاف مداركهم وثقافتهم وتباعد أماكنهم وأزمنتهم مع تطور علومهم[1]، وكل يفهمها بطريقة صحيحة وفقا لمستواه.

4- التعبير القرآني يجعلك تنسى أنك أمام ألفاظ، وإنما ترى المشاهد رأي العين، فهو يمتاز بـ "القدرة القادرة التي تصور بالألفاظ المجردة ما تعجز عن تصويره الريشة الملونة والعدسة المشخصة"[2]. ومن الأمثلة على هذا، تعبير القرآن الكريم عن محتوى الجنة ومحتوى جهنم.

أ- تعبير القرآن عن محتوى الجنة: ونكتفي بمثال واحد هو قوله تعالى: "مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى"[3]. ولنتصور هذا الجمال: أنهار -وليس نهرا واحدا- من ماء عذب رقراق، محاذية لأخرى من لبن ناصع البياض، وهذه محاذية لأخرى من خمر لذة للشاربين "لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون"[4]. وهذه محاذية لأنهار من عسل مصفى، خال من الشوائب. هذه الأنهار تجري متحاذية مع بعضها البعض بدون حواف، ويمكن أن تكون محاذية لبعضها البعض فرادى. إنه اختلاف الألوان وروعة التعبير والجمال، وهذا مجرد مثل تقريبي، ولذلك قال "مثل...". أي جمال هذا؟! إننا ننسى الألفاظ المعبرة ونرى المشهد الخلاب أمامنا رأي العين[5].

ب- تعبير القرآن عن محتوى جهنم: هو أيضا يتضمن جمالا خلابا، ولكن في التنفير منها. ونكتفي بمثال واحد هو قوله تعالى عن شجرة الزقوم[6] التي أعدها الله وجبة الكافرين في النار "إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين"[7]. وهل رأينا رؤوس الشياطين لنعرف مدى بشاعتها؟ شبه مجهول بمجهول وهو غاية الإعجاز. فلو أقمنا مسابقة عالمية لكبار الرسامين وطلبنا من كل واحد منهم أن يرسم لنا رأس شيطان فإن كل الصور تكون مختلفة البشاعة وصاحب الصورة الأبشع هو الذي يأخذ الجائزة. فالتعبير القرآني يريد أن يقبح شجرة الزقوم قبحا يتصوره جميع الناس كأبشع ما يكون فالإبهام هو عين البيان[8]. أو نجمع كل تلك البشاعات لنحصل على أقبح صورة لرؤوس الشياطين مرسومة بطريقة فنية راقية إلى حد تزهيد الناس في تلك الصورة، والجمال هنا هو قدرة الألفاظ على تصوير البشاعة بذلك الشكل مما يؤدي إلى تنفير الناس من جهنم[9].

---

[1] محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، ص 136.
[2] سيد قطب، التصوير الفني، ص 9.
[3] سورة سيدنا محمد / 15
[4] الصافات / 47
[5] محمد متولي الشعراوي، تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم، قناة الناس
[6] شجرة الزقوم شجرة تنبت في وسط جهنم منتنة طعمها مر تؤذي الذوق والشم والعين طلعها لبشاعته كأنه رؤوس الشياطين (الشعراوي تفسير سورة الصافات، قناة الناس).
[7] الصافات / 64، 65.
[8] الشعراوي، المرجع نفسه.
[9] الشعراوي، المرجع نفسه.

النتيجة مما سبق:

نتوصل مما سبق، ومن خلال قراءتنا لسور القرآن "أننا نجد فيها -السور- جمالا في العرض، وقوة في الأداء، وإيقاعا في العبارة... وإيحاء في الإشارة على نحو فريد، ونجد القضية الدينية التي تتولى عرضها معروضة في إطار من مشاهد الكون، ومشاعر النفس تستجيش الحس، وتستنهض الخيال... لنجد الجمال الفني الخالص عنصرا مستقلا بجوهره، خالدا في القرآن بذاته، يتملاه الفن في عزلة عن جميع الملابسات والأغراض. وإن هذا الجمال ليتملى وحده فيغني، وينظر في تساوقه مع أغراض الدعوة الدينية فيرتفع في التقدير"[1]. ما سبق بعض ما يتعلق بجمال المظهر. فما الذي يتعلق بجمال المخبر؟

[1] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 23.

2- المخبر (المحتوى)

تحدثنا في ضبط المفاهيم عن الجمال والجميل، وذكرنا أن هناك علم يدرس الجمال، يسمى علم الجمال وهو أحد فروع الفلسفة، ثم عرفنا القرآن الكريم وتوصلنا إلى أنه رغم قول بعض الفلاسفة بنسبية الجمال إلا أنه يوجد جمال مطلق يتفق عليه الناس مع اختلاف الزمان والمكان، ومن يصدر الحكم، نسميه الجمال المطلق. ويتمثل في النص القرآني مظهرا، وقد تحدثنا عنه، ومخبرا. ونقتصر فيه الحديث عن جمال الذات الإلهية المطلق. فما هو الجمال المطلق؟

الجمال المطلق: هو **الجمال الإلهي**، وهو **الجمال الحقيقي**: وهو عبارة عن "أوصاف الله العلا، وأسمائه الحسنى"[1]. وهو "صفة أزلية لله تعالى شاهده في ذاته أولا مشاهدة علمية، فأراد أن يراه في صنعه مشاهدة عينية، فخلق العالم كمرآة شاهد فيه عين جماله عيانا"[2]. ولذلك يقسم إلى قسمين:

أ - جمال معنوي: وهو ما تتضمنه الأسماء والصفات الإلهية، وهذا الجمال خاص بالله وحده بحيث يستحيل شهود الجمال المعنوي بكماله لغير ربنا عز وجل[3].

ب - جمال صوري: (من الصورة والمشاهدة) وهو العالم بما فيه من مخلوقات فهو جمال إلهي مطلق ظهر في مخلوقاته عز وجل على اختلاف أجناسها وأنواعها[4]. ولذا قيل بأنه لا فرق بين مليح من العالم وقبيح باعتبار كون القبيح مجلّى الجمال الإلهي، إذ بالضد تتميز الأشياء. ذلك أن من الحسن إبراز جنس القبيح على قبحه، كما أن من الحسن الإلهي إبراز جنس الحسن على حسنه لحفظ مرتبة كل منهما من الوجود[5].

نتوصل مما سبق إلى أن الوجود بكامله، بما فيه من محسوس ومعقول، وموهوم وخيالي، والأول والآخر، والظاهر والباطن، والقول والفعل، والصورة والمعنى، كل ذلك إنما هو صورة حسن الله ومظهر جماله[6].

إذا كان الله هو الجمال المطلق، فإنه هو الجلال المطلق، وهذا يدعونا إلى ضبط مفهوم الجلال، وتحديد الصلة بينه وبين الجمال.

---

[1] التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج2، ص 244، 245.
[2] التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج2، ص 244، 245.
[3] التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج2، ص 244، 245.
[4] المصدر نفسه، ج2، ص 244، 245.
[5] المصدر نفسه، ج2، ص 245.
[6] المصدر نفسه، ج2، ص 245.

مفهوم الجلال: الجلال عامة هو عبارة عن ذاته تعالى بظهوره في أسمائه وصفاته كما هي عليه، كالقهر والغضب[1]. أما تفصيلا فهو عبارة عن صفة العظمة والكبرياء والمجد والسناء[2].

إذا كان هذا مفهوم الجلال فما هو مفهوم الجليل؟ وما الصلة بين الجمال والجلال؟

مفهوم الجليل: هو "ما جاوز الحد في الروعة في مجال الفن أو في الأخلاق أو في الفكر، أي جاوز حد الروعة في كل شيء، مما يجعله مرتبطا بالجميل إلى حد بدوه جمالا قاهرا[3]. وإذن ما الصلة بين الجميل والجليل، أو بين الجمال والجلال؟

الصلة بين الجمال والجلال أو بين الجميل والجليل:

الجمال إضافة لما ذكرنا "هو تناسب واعتدال يرضيان النفس، على حين أن الجلال هو ما جاوز حد الاعتدال من نواحي الفن والفكر.

وجمال الله عبارة عن أوصافه المشتملة على الرحمة والعلم واللطف والجود وأمثال ذلك.

أما جلاله: فهو عبارة عن صفة العظمة والقهر، وما يتعلق بالربوبية والقدرة والعظمة والكبرياء والمجد والسناء[4].

ويطلق أيضا على الصفات السلبية - ليدل على الكمال - مثل ألا يكون الله جسما ولا جوهرا ولا عرضا وغير ذلك من السوالب[5].

ولذلك نجد الجمال والجلال متكاملين ومتطابقين. فالجميل يبعث فينا البهجة والرضا، والجليل يبعث فينا الخشية والرهبة[6]. مما يجعلهما ضربين من جنس واحد، وقد أكد هذه الصلة كثير من الفلاسفة المحدثين والمعاصرين، مثل كانط الذي ذهب إلى أنهما ضربان من جنس واحد، رغم أن الجميل في نظره محدود ومتناه عكس الجليل. وللنفس في نظره دخل كبير في تقديره وتصوره. فالجليل هو ما لا يمكن أن يتصور دون أن يكشف عن ملكة في النفس تجاوز كل مقياس من مقاييس الحواس[7].

والحقيقة أن كلا منهما بالنسبة إلى الله عز وجل هو الآخر، فالجمال جلال، والجلال جمال. فالجميل ما يشعرنا بالرضا، والجليل ما يشعرنا بالرهبة. قال تعالى: "رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه"[8]. وقال أيضا: "يدعون ربهم خوفا وطمعا"[9]. فالله هو الكائن الوحيد الذي نفر إليه خوفا منه، ونحتمي به منه.

---

[1] الجرجاني، التعريفات، د ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1971م، ص 42.
[2] التهانوي، المصدر السابق، ج 2، ص 244.
[3] مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص61.
[4] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، م 1، ص 408، أيضا: التهانوي، المصدر السابق، ج2، ص 244.
[5] التهانوي، المصدر السابق، ج 2، ص 244.
[6] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، م1، ص 408.
[7] مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص 124.
[8] البينة / 8.
[9] السجدة / 16.

نتوصل إلى أن الجمال جلال والجلال جمال.

الجمال جلال، والجلال جمال: ونقصد بذلك أن كل جمال لله شدة ظهوره تسمى جلالا، كما أن كل جلال له فهو في مبادئ ظهوره على الخلق يسمى جمال. ومن هنا جاءت مقولة لكل جمال جلال، ولكل جلال جمال. وأننا لا نرى من جمال الله إلا جمال الجلال أو جلال الجمال[1]. أما الجمال والجلال المطلقين فلا يكون شهود أي منهما إلا لله عز وجل. وذلك أن الجلال كما مرّ هو ذاته تعالى ظاهر في أسمائه وصفاته كما هي عليه في حقه. ويستحيل هذا الشهود إلا لله عز وجل. أما الجمال، فهو أوصافه العلى، وأسمائه الحسنى، واستيفاء هذه الأوصاف والأسماء للخلق محال[2].

نتوصل مما سبق إلى تصنيف صفات الله إلى ثلاثة أصناف.

أصناف صفات الله:

أ- صفات جمال: مثل صفات: الرحمة والعلم، واللطف والنعم، والجود والرزاقية، والخلاقية والنفع، وأمثالهما[3].

ب - صفات جلال: كصفة القهر والغضب[4].

ج - صفات جمال وجلال: مشتركة، تجمع بين الجمال والجلال مثل اسم الرب، فإنه باعتبار التربية والإنشاء اسم جمال وباعتبار الربوبية والقدرة اسم جلال، ومثاله اسم الله واسم الرحمن أما الرحيم فهو اسم جمال[5].

ولكن ماذا يترتب عن مفهومي الجمال والجلال في القرآن؟ تترتب عليهما المحبة، فهما يورثونها. وهذا يدعونا إلى الحديث عن العلاقة بين الجمال والجلال والمحبة.

الصلة بين الجمال والجلال والمحبة:

بعد أن ضبطنا مفهومي الجمال والجلال، وعرفنا الصلة بينهما، ننتقل إلى تحديد العلاقة بينهما وبين المحبة مبتدئين بتعريفها.

تعريف المحبة: تنوعت تعريفات المحبة بين العلماء، فقيل: "المحبة ترادف الإرادة بمعنى الميل، فمحبة الله للعباد إرادة كرامتهم وثوابهم على التأبيد، ومحبة العباد له تعالى إرادة طاعته"[6].

وقيل: محبتنا لله كيفية روحانية ناتجة عن تصورنا لكماله المطلق الدائم، والكمال المطلق يتضمن الجمال والجلال المطلقين، مما يجعلها تقتضي التوجه الكامل المطلق إلى الله بلا انقطاع. فحب الله إذن يقتضي من جهة حب طاعته والطمع في ثوابه وإحسانه، ومن جهة أخرى فإن الأخص مما ذكرنا أن نحب الله لذاته.

---

[1] التهانوي، المصدر السابق، ج 2، ص 244.
[2] المصدر نفسه، ج 2، ص 244
[3] المصدر نفسه، ج 2، ص 244
[4] الجرجاني، التعريفات، ص 42
[5] التهانوي، المصدر السابق، ج 2، ص 244
[6] التهانوي، المصدر السابق، ج 2، ص 270

ذلك أن كلا من اللذة والكمال محبوبان ومطلوبان لذاتهما، كما أن الألم مكروه لذاته. وأكمل الكاملين هو ربنا، فهو الكمال المطلق ومصدر كل كمال، مما يجعله محبوبا لذاته حتى ولو لم يحبه غيره[1].

وقيل في تعريف المحبة: "المحبة ميل الجميل إلى الجمال بدلالة المشاهدة، كما ورد أن الله جميل يحب الجمال... والجمال الحقيقي - كما ذكرنا - صفة أزلية لله تعالى... فالجميل الحقيقي إنما هو الله عز وجل، وكل جميل أو جمال في الكون هو مظهر جماله، ولما خلق الله الإنسان جميلا على صورته كان من طبعه الانجذاب إليه[2].

نتوصل مما سبق إلى أن الحب الإلهي هو أساس الحب في الوجود:

الحب الإلهي أساس الحب في الوجود: وذلك أن الحب الإلهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، وهي قائمة بنفسها، مما يجعل حب العقلاء ناتجا عنها، فيحبون الله بحبه إياهم... وجمال الذات كما ذكرنا جمال مطلق متضمن في كل الصفات الجمالية والجلالية لعموم الذات إياها، فيكون بذلك الحب الإلهي هذا هو أساس الحب في الوجود[3]، وهذا يدعونا إلى الإشارة إلى عوامل الحب.

عوامل الحب: للحب ثلاثة عوامل هي:

الإحسان، الجمال، العظمة. وهذه الثلاثة لا توجد إلا في الله عز وجل، وكل ما في الوجود من إحسان مستمد منه، وكل جمال هو خالقه وملهمه، وهو العظيم الذي ليس كمثله شيء. فيجب أن يحب، وأن يكون حبنا له أشد حبا[4]. قال تعالى "والذين آمنوا أشد حبا لله"[5].

ولكن ماذا يترتب من حب جمال الذات الإلهية؟

ما يترتب عن حب جمال الذات الإلهية: يترتب عنه الرضا بقضاء الله عز وجل، حيث يستوي عند الإنسان المحب لله عز وجل الصفات المتضادة من نفع وضر. لأن ذلك من عند الله وهو اختبار للإنسان "ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون"[6]. وعلامة حب الله أن يصير غاية في ذاته. وهو ثلاثة أقسام، أعلاها حب الذات، وأدناها حب الأفعال، وذلك بناء على انقسام الجمال إلى جمال الذات وجمال الصفات وجمال الأفعال[7].

وهنا نتساءل كيف نصل إلى محبة الله عز وجل؟

كيفية الوصول إلى محبة الله:

نتوصل إليها بطاعة الله والاطلاع على أسرار خلقه وقدرته وحكمته. فنتشبع بجماله وجلاله، وكل من كان اطلاعه أتم، كان علمه بكماله أتم. فيكون حبه له أتم. ولا نهاية لمراتب هذه المحبة مما يجعل المرء يرتقي

---

[1] المصدر نفسه، ج 2، ص 270

[2] المصدر نفسه، ج 2، ص ص 271، 272.

[3] المصدر نفسه، ج 2، ص 272.

[4] محمد سعيد رمضان البوطي، شرح الحكم العطائية، قناة الناس، 2024/12/23، الساعة 10:40 ليلا.

[5] البقرة / 165.

[6] الأنبياء / 35.

[7] التهانوي، المصدر السابق، ج 2، ص 272.

في درجاتها حتى يستولي حب الله على قلبه فينفر عما سواه. ولذلك قال الله عن أعدائه وعن أحبائه "ومن الناس من يتخذ أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله"[1]،[2].

نتوصل مما سبق إلى أن جمال القرآن وجلاله يورثان المحبة، ولما كانت المحبة من الأشياء المشتركة نختم حديثنا عنها بترتيب المحبوبين.

ترتيب المحبوبين:

يترتب المحبوبون كالآتي:

المحبوب الأول في الوجود هو ربنا عز وجل، والمحبوب الأول من الخلق هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم من اتبعه. لأن حسن متابعته تورث المحبوبية. قال تعالى: "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم. قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين"[3].

نتوصل إلى أن علامة حبنا لله اتباع رسوله، واتباع رسوله يؤدي إلى حب الله لنا، فطاعتهما إذن ضمان حب الله لنا، وهذا يعني حتمية الاقتداء بالرسول لنصل إلى حب الله.

الاقتداء بالرسول يجلب حب الله لنا:

من اقتدى بالرسول صار من أتباعه، وسرت فيه خاصية المحبوبية، فيجذب هو أيضا غيره إليه ويعطيه هذه الخاصية، وهكذا دواليك كالمغناطيس الذي يجذب الحديد إليه بطبيعته المغناطيسية، وهذا الحديد يجذب حديدا آخر إليه بتلك الخاصية المغناطيسية التي سرت إليه من الحديد الأول. فكذلك الروح النبوي المطهر بالنسبة إلى الحضرة الإلهية كالحديدة الأولى بالنسبة إلى المغناطيس، جذبه مغناطيس الذات الإلهية بخاصية المحبة أولا بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم ثم أرواح أمته بواسطة روحه، روحا فروحا، متعلقة به كالحديدات المتعلق بعضها ببعض إلى الحديدة الأولى، وكل واحدة منها تظهر فيها خاصية المغناطيس كأنها المغناطيس نفسه[4].

نتوصل مما سبق إلى أن الله عز وجل جمال مطلق وجلال مطلق جماله جلال وجلاله جمال، نحبه بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم الذي تحبه أمته وتقتدي به في حبه لله وحب الله به. وترتبط أمته بهذا الحب فتحب بعضها بعضا، مما يجعل الكون كله مرتبطا بخالقه بالمحبة. المحب الأول هو الله عز وجل والرسول وهو المحب الأول من البشر مرتبط بحب الله. والأمة كلها مرتبطة بحب الله ورسوله، ويحب بعضها البعض مما يجعل المجتمع المسلم كله عبارة عن سلسلة مترابطة من الحلقات، هذه الحلقات هي المحبة.

الخاتمة

[1] البقرة / 165.
[2] التهانوي، المصدر السابق، ج 2، ص 271.
[3] آل عمران / 31، 32
[4] التهانوي، المصدر السابق، ج 2، ص 273

بعد رحلة جميلة في جمال القرآن ظاهره ومخبره، حللنا فيها موضوع الجمال في القرآن وروعته مقسمين له إلى ثلاثة محاور هي: مفهومه وصيغه ومجالاته.

ضبطنا في المحور الأول مفهوم الجمال وربطنا الجمال بالجميل وأشرنا إلى العلم الذي جعل الجمال موضوعه. وضبطنا مفهوم القرآن الكريم وأشرنا إلى ما يتضمنه تعريفه من جمال.

وبحثنا في المحور الثاني صيغ الجمال في القرآن. أما المحور الثالث فتحدثنا فيه عن مجالات الجمال في القرآن ظاهره وباطنه مقتصرين في باطنه على جمال الذات الإلهية، وتوصلنا إلى مجموعة من النتائج، منها:

- ضبط مفهوم الجمال باعتباره إحدى القيم الثلاثة، وأنه ما يبعث في النفس السرور والرضا، وبينا أن الجميل هو ما يميل إليه الطبع وتقبله النفس، كما ضبطنا مفهومي القبح والقبيح. لأنه بالضد تتميز الأشياء، وتوصلنا إلى أنه لا يوجد في الوجود قبيح مطلق ولكن يوجد حسن مطلق هو الله عز وجل، وأن الوجود بكامله إنما هو صورة حسنه وجماله. ثم عرفنا القرآن وبينا أن تعريفه في حد ذاته يتضمن جماله المطلق.
- صيغ الجمال الثمانية التي أشرنا إليها إنما هي على سبيل المثال لا الحصر، وتوصلنا إلى أنها تكررت في القرآن في 58 حزبا كما يأتي:

مادة جمل (8) مرات. بهج (3) ثلاث مرات. جنة (147) مرة. حسن (240) مرة. روض (2) مرتين. زخرف (4) مرات. زهرة (1) مرة واحدة. زين (47) مرة. والسور التي لم تتضمن أي مادة من هذه المواد تضمنت مواد أخرى تتضمن الجمال، ومن ذلك سورة الفاتحة التي لم تحتوي على أي مادة من المواد السابقة ولكنها تضمنت أسماء الجمال وأسماء الجلال: أسماء الله الحسنى. وكذا سورة الناس. فما لم تذكر فيه صيغة من الصيغ الثمانية ذكر الجمال بصيغ أخرى إلى حد القول بأن كل كلمة في القرآن الكريم بمفردها تعد صيغة من صيغ الجمال، مما يمكننا من القول بأن كل صيغ القران الكريم جمال مطلق. لأنه كلام الله الجميل جمالا مطلقا ومصدر كل جمال وجميل.

- التصوير الفني (جمال المظهر) هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن مما جعله يسحر المؤمنين به والكافرين على السواء، وبرهنا على هذا بعرض نماذج لكليهما، وتوصلنا إلى أن منبع هذا السحر فيه أو الجمال إنما هو النسق القرآني ذاته، وأشرنا إلى بعض خصائص هذا النسق مما جعل التعبير القرآني ينسيك أنك أمام الألفاظ، وإنما ترى المشاهد رأي العين. فعندما نقرأ سور القرآن نجد فيها جمالا في العرض وقوة في الأداء وإيقاعا في العبارة، وأن الجمال الفني عنصر مستقل بجوهره، خالد في القرآن بذاته، مما يجعله يبهر القارئ له والمستمع إليه حتى ولو ظل على عناده.

- يمتاز القرآن الكريم بجمال مطلق مظهرا ومخبرا، وأنه الجمال الإلهي، وأنه الجمال الحقيقي الذي هو عبارة عن صفات الله العلا وأسمائه الحسنى، وأن الله خالق كل جمال في الكون. فكل جمال هو مصدره. وربطنا بين الجمال والجلال والجميل والجليل. وتوصلنا إلى أن الجمال جلال والجلال جمال، فهما متطابقان ومتكاملان، فالجميل يبعث فينا البهجة والرضا، والجليل يبعث فينا الخشية والرهبة، فالله عز وجل هو الوحيد الذي نحبه ونخشاه، ونفر من خوفه إليه وإلى حبه.
- يترتب على الجمال والجلال المحبة، مما جعلنا نضبط مفهومها ونوضح الصلة بينها وبين الجمال والجلال، وتوصلنا إلى أن الجمال يورث المحبة. ولما كان الله هو الجمال المطلق ومصدر كل جمال، وأن الجمال يورث المحبة. فإن الحب الإلهي هو أساس الحب في الوجود، وأشرنا إلى عوامل الحب الثلاثة: الإحسان والجمال والعظمة. وهذه الثلاثة لا توجد إلا في الله، فهو أساس كل ما في الوجود من إحسان وجمال، وهو العظيم الذي ليس كمثله شيء، مما يوجب علينا أن نحبه، وأن يكون حبنا له أشد حبا، وأنه يترتب على هذا الحب الرضا المطلق بكل ما أتانا من الحبيب الذي هو خير محض، لا يصدر عنه الشر أبدا. مما يُرتب على هذا الحب: الرضا بالقضاء والقدر. فالصبر على الابتلاء والشكر على النعم دليلا حبه.
- الوصول إلى محبة الله يتم بطاعته والاطلاع على أسرار خلقه وقدرته وحكمته.
- رتبنا المحبوبين كما يأتي:
  - الله، محمد صلى الله عليه وسلم، المتبعون للرسول. وعلامة حبنا لله اتباع الرسول، وهذا يؤدي إلى حب الله لنا "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله"[1]. فطاعة الله والرسول إذن ضمان حب الله لنا ودليله، فمن اقتدي بالرسول صار من أتباعه، وسرت فيه خاصية المحبوبية، فيجذب غيره إليه ويعطيه هذه الخاصية كالمغناطيس الذي يجذب حديدا آخر إليه بطبيعته المغناطيسية، وهذا يجذب آخر إليه وهكذا دواليك، وبذلك يكون المؤمنون كلهم منجذبين إلى بعضهم البعض بالمحبة الناتجة عن الاقتداء بالرسول المرتبط بالله.
  - القرآن الكريم جمال مطلق مظهرا ومخبرا، وهو كلام الله الذي هو جمال مطلق ومصدر كل جمال في الوجود، والإنسان مولع بحب الجميل، فيترتب على جمال القرآن حبه وحب الله الذي هو مصدره، والحب يوجب الطاعة، والطاعة تورث الاستقامة، والاستقامة على منهج الله القرآن تورث سعادته، ولذلك كان جمال القرآن أساس هداية الرعيل الأول من

[1] آل عمران / 31

الصحابة، وكل من ينزع الغشاوة على عينيه. وكان المجتمع الإسلامي أقل المجتمعات تعرضا للأمراض النفسية لارتباطه بحب الله.